عوائق على طريق النهوض

الدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود

نشر في كتاب

الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد

(سلسلة مشروعات ثقافية)

مركز البحوث والدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، الطبعة الأولى

1421 هـ /2000م

أعيد نشره إلكترونيا في رمضان
1439 / مايو 2018

عوائق على طريق النهوض

الدكتور عبد اللطيف محمود آل محمود (*)

إن تقوية العاطفة الإيمانية، وقيام دولة المؤسسات، والالتزام بقيم الشورى، والالتقاء على الثوابت، والانفتاح الفكري والمذهبي، والاهتمام بالتربية والتعليم والثقافة والسلوك، ووضع سياسة للعطاء الحضاري، تشكل أولويات النهوض.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن دور الأمة الإسلامية في عالم الحياة منذ أن جاءت الرسالة إلى الرسول الخاتم مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ لم يكن وليد فكر بشري، أو تصور نظري فردي أو جماعي، فلم يكن مُحَمَّد ﷺ سوى رجل أمي غير أنه أوتي الكتاب من الله تعالى كما أوتيه الرسل والأنبياء من قبله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(*) باحث.. أكاديمي.. (البحرين).

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:157).

هذا الدور كان اختياريًا ربانيًا محددًا من الله تعالى للأمة، يجب عليها أن تعمل على تحقيقه في الحياة أفرادًا وجماعة، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:143)، ويقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:110).

ولقد نفى الله تعالى عن نبيه مُحَمَّد ﷺ أن يكون تحديد دوره ودور أمته في الحياة رأيًا بشريًا أو تصورًا نظريًا، منه منفردًا، أو منه ومن متبعيه، حيث يقول سبحانه له ردًا على من سيتصور هذا التصور أو يرى هذا الرأي﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام:161-163).

إذن، هذا الدور في الحياة إنما كان هداية من الله تعالى وتوجيهًا إلى صراطه المستقيم، وهو دور قام به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، جد النبي مُحَمَّد ﷺ، في فترة من الزمن قد مضت وأنيط بمحمد ﷺ وبأمته من بعده أن يقوموا به فيما بقي من الزمان.

المقومات الحضارية للأمة المسلمة

أمة أراد الله تعالى لها أن يكون لها هذا الدور الحضاري بين الأمم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، ولها هذه المكانة عند الله تعالى بين أمم الأرض جميعًا، من اتبع منهم رسالة سماوية أو دينًا بشريًا صرفًا، أو دينًا اختلط فيه حق كامل من رسالة سماوية مع تصور قاصر من فكر بشري: ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، لا تتأهل له (لهذا الدور الحضاري) إلا بمقومات خاصة في عقيدتها، وسلوكها، وتصورها لنفسها ولغيرها من الأمم والناس أجمعين.

ولعل من أهم هذه الخصائص:

– أن أفرادها ينتمون في سلالتهم وأصلهم إلى ذات السلالة والأصل الذي ينتمي جميع البشر إليه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(النساء:1).

– أنه لا تميز بين البشر عند الله تعالى بسبب لغة أو جنس أو لون، فالكل خلقه وهم عبيده وهو ربهم وخالقهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ (الحجرات:13).

– أن الكرامة للفرد عند الله تعالى بالتقوى: ﴿ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:13).

– أنه لا إكراه لاتباع هذا الدين: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (البقرة:256).. والقاعدة:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:29).

– عدم الإيمان بالإسلام لا يحرم صاحبه من حقوقه الدنيوية والمعيشية، بل يجب

أن يحصل عليها كاملة غير منقوصة:﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:90).. ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(المائدة:8).. ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (المائدة:2).. ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ (النساء:135) .

– اكتمال التصور للحياة عند المسلم بين الماضي والحاضر والمستقبل، فالله كان ولم يكن معه شيء، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن إلى أجل محدد، وخلق الإنسان ليبتليه ثم يميته ثم يحييه ليحاسبه على ما قدم وأخر، لتكون نهايته إما في الجنة وإما في السعير.

– وضوح العلاقة بين الإنسان وخالقه وبينه وبين أفراد بني جنسه، وبينه وبين الكون الذي يعيش فيه.

– قيام الالتزام بالإسلام على إعطاء الجسد حقه، وإعطاء الروح حقها، في توازن لا يطغى فيه أحدهما على الآخر.

– اعتبار الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، والوعد بأن اتباع الأحكام الشرعية تحقق الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة في الآخرة﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

(النحل:97)،﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (القصص:77).

– التكامل في عبادة الله، بين إقامة الشعائر الخالصة لله تعالى من صلاة وصيام وحج، والشعائر المرتبطة بالمجتمع كالزكاة وحسن الخلق والتعاون على البر والتقوى والإحسان والعدل.

– التفرقة في الأحكام بين الثابت والمتغير، فالثوابت أحكامها منصوصة لا اجتهاد فيها، والمتغيرات تعتمد على الاجتهاد في فهم النص أو في طلب الدليل من غير النص.

– الاهتمام بالعلوم النظرية والعلوم التطبيقية على حد سواء، وإعطاء كل نوع مجاله الخاص به.

– الدعوة إلى النظر والبحث والملاحظة، والحث على الدراسة والسير في الأرض، لتطوير الحياة، بدءًا من النظر في السموات والأرض:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ (يونس:101)، إلى البحث عن كيفية خلق الإنسان:﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ﴾ (العنكبوت:20).

أسباب عدم فاعلية الأمة

إنه لمن المسلمات في الحياة الإنسانية أن الأحكام والمبادئ والخصائص والمقومات لأي رأي أو فكر أو دين أو قانون، لا تؤتي ثماره ولا يجنى جناه إلا إذا وجد من يؤمن به ويعمل على تحقيقه، وتوجد البيئة الملائمة والظروف المواتية لتطبيقه.

والأمة الإسلامية ليست بدعًا من الأمم، ولا استثناء من قواعد الحياة، وقد قال الله

عز وجل لها: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾(الزخرف:33-35)، ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ (فصلت:9-10).

ولا يصح القول: بأن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تقوم بدور حضاري أو ليس لها مقوماته، لأنه قد كان لها دور حضاري على أرض الواقع تنطق به المعالم الأثرية الحضارية في جميع البلاد التي استقر بها المسلمون، وتزخر بها المكتبات، ونجد عنها العلوم النظرية والتطبيقية التي عرفها المسلمون.

ولا يجوز لنا الاتكاء على أن الأعداء قد عملوا لإخراج الأمة الإسلامية عن دورها الحضاري باستعمارها والسيطرة عليها والتصرف في مقدراتها وقوانينها بالقوة والهيمنة، فذلك شأن الصراع بين القوى ، والغالب يفرض سلطانه ورأيه على المغلوب، طبقًا لأحكامه وقواعده وأخلاقه وسياسته ونظرته إلى الآخرين.

أما وقد ثبت في الواقع أن الأمة الإسلامية قد تخلفت في وقتها الراهن عن القيام بدورها الحضاري أمام الحضارات الأخرى، والغربية على وجه الخصوص، بعد أن كان لها دور غير منكور، فإن البحث ينبغي أن ينصب على الأسباب التي عطلتها عن ذلك.

ويمكن التأكيد على ما سبق قوله من أن الأفكار والآراء والأديان لا تؤتي ثمارها إلا إذا وجدت ثلاثة أمور: أولها الإيمان بها.. وثانيها العمل على تحقيقها.. وثالثها: البيئة الملائمة للتطبيق.

أما الإيمان بالإسلام فإنه لابد أن نفرق بين الإيمان به كمعتقد شخصي، وبين الإيمان به كدين حضاري جاء من الله تعالى لتحقيق الحياة الطيبة للناس أجمعين في الدنيا، من آمن به ومن لم يؤمن بـ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:107)، ولتحقيق النجاة من عذاب النار ودخول الجنة يوم القيامة: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ (آل عمران:185).

المؤمنون بالإسلام اليوم في العدد كثير، منتشرون في الكرة الأرضية، أغلبية في دول وأقلية في دول أخرى، ولن ينتهي المسلمون من على سطح الأرض إلا عندما تأتي الريح اللينة في آخر الزمان فتأخذ أرواح المؤمنين، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ.

لكن الإيمان بالإسلام درجات، مؤمن يمارس الإسلام في ذاته، عامل به في نطاق حياته وحياة من حوله. وهذا النوع من الإيمان نراه في سلوك عامة الناس وعوامهم وهم الغالبية العظمى. وهذه الغالبية -في الإسلام وفي أي معتقد وحضارة ودين- يمكن أن تكون قوة معطلة لا يؤبه بها ولا تؤثر في الحياة، ويمكن أن تكون قوة ذات فاعلية كبرى تغير الحياة وتؤثر فيها إيجابًا أو سلبًا .

إنها تكون قوة معطلة لا يؤبه بها عندما ما ترتبط بلقمة عيشها، وتتبع شهواتها وأهواءها، وتضعف عاطفتها، ويكون همها أن تعيش لنفسها فحسب، ولا تجد القيادة السياسية والقيادة الفكرية التي تربطها بالحياة وتطوراتها.

ولكنها تصير قوة ذات فاعلية إيجابية كبرى عندما ترتبط بلقمة عيشها وتسيطر على شهواتها وأهوائها، وتقوى عاطفتها، ويكون همها أن تعيش لنفسها ولغيرها على حد سواء، وتجد القيادة السياسية والقيادة الفكرية التي توجهها إلى الحياة

الإنسانية، وتربطها بها وبتطوراتها.

كما أنها تصير قوة ذات فاعلية سلبية كبرى عندما تسيطر عليها الانتماءات اللغوية أو المكانية أو الزمانية أو الجنسية أو العرقية أو النسبية، وترى لها الفضل والأفضلية على بقية البشر، أو يشتط بها إيمانها بنفسها فترى أن الدنيا لها وحدها وغيرها إنما خلق خادمًا لها ومحققًا لشهواتها، وهي تلك الدعوات العنصرية والجنسية والدينية.. وتصبح هذه النزعة طامة كبرى في الحياة البشرية عندما تجد قيادة سياسية وقيادة فكرية تزكي في نار التمييز والتميز وادعاء الأحقية على بقية البشر.

تلك درجة من الإيمان تجعل أصحابها غثاء كغثاء السيل.. ويمكن أن تتحول إلى قوة بناء، كالماء العذب يمر على الأرض الهامدة، فإذا بها قد اهتزت وربت وأينعت وأنبتت وأثمرت كما ضرب الله بذلك مثلاً: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الحج:5).

ودرجة أخرى من الإيمان بالإسلام، يعيش صاحبها في الحياة وهو يحمل هم الحياة وهمومها، ويفكر في طريق خلاصها، عاطفته جياشة لا تفتر، متزنة لا تحيد، وهو لا يعيش لنفسه فحسب وإنما يعيش لنفسه ولقومه وأمته بل وللناس أجمعين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً تراه يتعبد في محراب العمل، ومحراب المعاملة، ومحراب التعامل مع جميع الخلق، كما يتعبد في محراب الصلاة والصوم والحج لله رب العالمين.

هذه الدرجة من الإيمان إذا وجدت في القيادة السياسية والقيادة الفكرية الموجهة لعقول أبناء الأمة وطاقاتها كانت بركة على المسلمين وعلى البشرية أجمعين وجعلت من المسلمين أندادًا لغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى، يعملون كما يعملون، وينتجون كما ينتجون، ويتفاعلون مع الحياة كما يتفاعلون.

وأما العمل على تحقيق الإسلام في الحياة فهو ناتج من الإيمان بعالمية الإسلام

وتنظيمه لشؤون الحياة كلها وشؤون البشرية جمعاء، من آمن به ومن لم يؤمن به، وإعطاء كل ذي حق حقه في توازن بين حق الفرد وحق الجماعة وحق الآخرين.. وهذا الوعي بين المسلمين هو الذي نقل الإسلام من الحجاز إلى الجزيرة العربية كلها وما حولها من أرض، شمالاً وشرقًا وغربًا وجنوبًا، حتى وصل إلى معظم أنحاء العالم المعروف، ويصل أبناؤه اليوم إلى العالم الجديد الذي لم يكن معلومًا لهم.

وأما البيئة الملائمة للتطبيق فتقوم على وجود الضوابط والحدود، التي تحفظ لكل مؤسسة صغرت أو كبرت قواعد حركتها، وحدودها، وحقوقها، وواجباتها، ومرجعيتها عند الاختصام، وأسلوب عملها، فردًا أو أسرة أو سلطة تشريعية أو فكرية أو قوة إعلامية.

ولقد وجه الله تعالى هذه الأمة في أسلوب عملها فقال:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (الشورى:38)، وإلى مرجعيتها فقال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ﴾(النساء:59)، وإلى أسلوب التقويم في حياتها فقال تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ل عمران:104) ، وإلى تعلق القلوب بابتغاء مرضاة الله فقال﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(البينة:5)، وإلى الالتزام بأحكام الإسلام فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ ﴾ (المائدة:48) وقال:﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن

يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (المائدة:49).

ها هي **أسباب عدم فاعلية الأمة** في وقتها الراهن للقيام بدورها الحضاري، قد بانت وظهرت:

– ضعف العاطفة الإيمانية العقلية لدى القيادات السياسية بالدور الحضاري للأمة الإسلامية.

– ضعف العاطفة الإيمانية العقلية لدى الغالبية العظمى من عامة المسلمين بالدور الحضاري للأمة الإسلامية.

– ضعف العاطفة الإيمانية العقلية لدى بعض المفكرين المسلمين بالدور الحضاري للأمة الإسلامية.

– الانشغال بتنمية الكيانات الصغيرة للدول الإسلامية والعربية دون الاهتمام بالارتباط القومي والإسلامي.

– فقدان التعاون والتنسيق بين كيانات الدول العربية والإسلامية في جوانبها السياسية والاقتصادية والإعلامية والحضارية على وجه الخصوص.

– انتفاء سياسة العطاء الحضارية التي تقوم عليها الأمة الإسلامية وتدعو إليها خلال القرون الماضية والقرن الحالي (الإيمان بعالمية الإسلام).

– عدم اعتبار مصادر الإسلام الصحيحة مرجعًا أوليًا لأخذ القوانين والنظم التي تسوس الفرد والجماعة، وللاحتكام بين المسلمين فيما يتنازعون فيه.

– عدم وضع الاعتبار لقوة الشعوب في حركة الدول العربية والإسلامية بحيث تكون قوة مساندة لحكوماتهم وأنظمتهم في عطائهم الحضاري الإسلامي، وفي دفاعهم

عن حقوقهم ومقوماتهم أمام طغيان القوى المسيطرة عالميًا.

– اختلاط الاختصاصات بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، أو وحدة الهيمنة عليها، وسرعة إحداث التغييرات في قواعدها وقوانينها في كثير من الدول الإسلامية لتحقيق المصالح الفردية والآنية.

– التجاوزات للقوانين، وسد الأبواب على المتضررين عن المضي في الطرق التي توصلهم إلى حقوقهم عند حدوث هذه التجاوزات .

– ضعف الرقابة على الأداء الوظيفي للقطاع العام باعتباره القطاع الذي يسوس أفراد الشعب ومؤسسات الدولة، ويحوي ميزانية الدولة، التي يستفيد منها المجتمع بكامله، مع ما لقوته وعطائه من الأثر الأكبر في استقراره والثقة فيه، داخلياً وخارجيًا.

– عدم التأكيد على السلوكيات الأخلاقية الإسلامية في حركة الفرد وحركة المجتمع، بحيث يتم ضبط السلوك على معايير الحضارة الإسلامية.

– ارتباط حركة الدول بالأفراد الذين يتولون المسؤولية دون مؤسساتها، مما يجعل الدولة لا تستقر في حركتها، وتتغير سياستها وحركتها بتغير الأفراد الذين يتولون أمرها، ويؤثر ذلك في غالب الأحوال سلبًا على مقوماتها وحركتها.. كما أنه في هذه الأحوال، غالبًا ما يتمكن الطفيليون والمنافقون وأصحاب الأهواء والمصالح الخاصة من مصالح الدولة العامة، ويكثر الفساد الإداري، وتنتشر الرشوة والمحسوبية.

– انغلاق أصحاب الفكر المذهبي أو العلمي أو العلماني على أنفسهم، ومحاولتهم القضاء على الآخرين أو طمس أفكارهم أو ردهم إلى أضيق السبل في الحياة، مما يولد المعارضة التي تعطل الحركة، وتعمل على هدم المجتمع بالتعاون مع (الآخرين).

– عدم التأكيد على ثوابت المجتمعات الإسلامية، والعمل في مجال المتغيرات، وانصباب الحركات الأخرى على تغيير الثوابت الإسلامية، مما ولد صراعات لم تنته

بعد.

أزمة الحضارة الحالية وحاجتها إلى الرؤية الإسلامية

لابد من الاعتراف مسبقًا بما للحضارة العالمية الحالية من منجزات حضارية مادية، سواء في التقدم المدني، أو العلمي، أو التقني، أو وسائل الاتصالات، أو العمل التجاري، أو التنظيم الإداري، أو الاهتمام بالجسد البشري وبالنفس الإنسانية، من خلال البحوث المكثفة والدراسات الميدانية والدراسات الموسعة.

ولابد من الاعتراف ثانيًا، أن هذه المنجزات الحضارية قد قامت في كثير من دوافعها وتطبيقاتها على أساس الانفصال بين الدين والحياة، وحصر الدين على أماكن العبادة والشؤون الخاصة للفرد، وجعل الحياة الاجتماعية واقعة تحت تخطيط الإنسان والنتائج التي يتوصل إليها انطلاقًا من تشريع الإنسان لنفسه.

ولابد من الاعتراف ثالثًا، أن القائمين على هذه المنجزات قد تأثروا ببيئاتهم الثقافية، بما فيها من علوم وتاريخ وأساطير وأديان وخرافات ونظرة إلى النفس وإلى الآخرين.

ولابد من الاعتراف رابعًا، أن الإنسان في طفولته الحياتية والثقافية والعلمية يرى أنه دائمًا على الحق، وأن غيره مجافٍ للحق، ويود لو أن العالم تغير إلى ما هو عليه.. ويصل به الاعتقاد إلى أنه يعجب كيف لا يعرف الآخرون الحق الجلي الذي يعتقده، وكيف لا يعرفون الباطل -في رأيه- الذي هم عليه ?! ولا يخرج من هذه الطفولة إلا من نمى بثقافته وعلمه حتى وصل إلى مرحلة الرجولة والشيخوخة التي تعترف بأن الحق قد يكون متعددًا، وأحيانًا أنه لابد من التعايش مع ما هو باطل بكل المقاييس.

ولا بد من الاعتراف خامسًا، أن الحضارة العالمية رغم سماتها الأوربية والأمريكية وسماتها المادية، إلا أنها لا تمنع الآخرين من الدخول إليها والعمل من داخلها

للاستفادة منها والتأثير فيها بقوة البرهان والدليل، مع الاعتراف بأن هذا التأثير ليس بالأمر اليسير ولكنه ليس بالأمر المستحيل.. وتتيح قيم الديموقراطية والحرية والإخاء الإنساني وحقوق الإنسان ودولة المؤسسات والإعلام –المفتوح على كل شيء، بما له من سلطة فائقة حتى سمي بالسلطة الرابعة –لكل قادر أن يلج إلى تلك المجتمعات ويؤثر فيها، رغم ما سيحاوله الآخرون من عرقلة لتلك الجهود.

وإذا كان الإسلام يهتم بالجسد والروح، وبالمادة والقيمة، ويربط الإنسان بالكون وخالقه، ويعترف بالإنسانية جمعاء، فإن عمل المسلمين مع الحضارة العالمية الراهنة ينبغي أن يكون مكملاً لها، ومصلحًا لاعوجاجها إن وجد، ودافعًا لمسيرتها حتى ترتقي إلى أن تكون إنسانية عالمية لا إنسانية أوربية أمريكية غربية .

ولقد أتيح للمسلمين أن يثبتوا صدق معتقدات الإسلام وصحة طروحاته، سواء النفسية أو الروحية أو الاقتصادية، في البلاد الإسلامية والبلاد الغربية، لكن جهودهم إنما كانت جهودًا فردية.. إلا أن هذه الجهود الفردية تحتاج إلى أوقات طويلة حتى تؤتي ثمارها على المستوى الحضاري.. ويوم أن يكون للدول الإسلامية سياسة للعطاء الحضاري يتم إقرارها من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي أو رابطة العالم الإسلامي، وتلتزم الدول الإسلامية بالعمل على تحقيقها داخل دولها أولاً، وثانيًا من خلال الروابط الثنائية والمنظمات الإقليمية كمجلس التعاون لدول الخليج العربية، أو القومية كجامعة الدول العربية أو المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب، أو المنظمة الإسلامية للثقافة والآداب والعلوم، فإن الوقت سيقصر ،والتأثير سيكثر، والإنسانية ستستفيد من هذا التلاقح والتكامل الحضاري بين الإسلام والغرب والشرق.

ولابد من أن يتم تحديد الموارد المالية لتطبيق هذه السياسة الحضارية من قبل الدولة داخليًا، ومن قبل المنظمات داخليًا وخارجيًا. وقد تبين أن المشروعات الدولية

التي تنشئها الدول الإسلامية لا تستمر بسبب العجز في الميزانيات العامة لهذه الدول، وأغلبها من الدول المتخلفة.

لذا أرى أن يتم إنشاء صناديق استثمارية وقفية لهذه المنظمات، بحيث يتم تمويلها ذاتيًا بدل الاعتماد على المخصصات السنوية من الدول المشاركة، رغم الحاجة إليها في أول الأمر لإنشاء هذه الصناديق الاستثمارية، بحيث لا تتعدى فترة العشر سنوات من إنشائها لتعتمد على نفسها.

أولويات مشروع النهوض على مستوى الأمة

أظن أن مرحلة العمل الحضاري الإسلامي لا تنهض به أحزاب أو جمعيات، بل لابد أن تقوم به الدول الإسلامية، وإن أولويات مشروع النهوض على مستوى الأمة ينطلق من:

1- تقوية العاطفة الإيمانية العقلية لدى القيادات السياسية وجماهير الشعوب الإسلامية.

2- قيام دولة المؤسسات في الدول الإسلامية.

3- الالتزام بقيم الشورى في حركة المجتمع، في كل مؤسساته.

4- الالتقاء على ثوابت المجتمعات الإسلامية، والالتزام بأدب الحوار في المواضيع التي تمس تلك الثوابت.

5- الانفتاح بين أصحاب الأفكار والمذاهب الدينية وغيرها.

6- الاهتمام بالتربية والتعليم والثقافة، المعتمدة على مبادئ الإسلام وقيمه.

7- الحرص على السلوك الأخلاقي والعقيدي الذي يرعى الفرد والجماعة.

8- وضع سياسة للعطاء الحضاري الإسلامي على المستوى الداخلي والدولي.

والله المستعان.